JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ
العدد الثامن والأربعون
(٢٦٩) -(٢٩٤)

القناع الأسطوري وآليات تشكل الذات الشاعرة في شعر عبد الوهاب البياتي

م. م نجوان كمال علي
njwankmallyalshmry@gmail.com
وزاره التربية والتعليم
مديريه تربيه محافظه واسط
قسم تربيه العزيزية

المستخلص :

يتناول هذا البحث القناع الأسطوري بوصفه تقنية شعرية تسهم في تشكل الذات الشاعرة في شعر عبد الوهاب البياتي، وينطلق من قراءة تحليلية للنصوص للكشف عن طبيعة العلاقة بين الشخصية الأسطورية والصوت الشعري داخل القصيدة. ولا يقف البحث عند تتبع حضور الأسطورة أو بيان مرجعياتها الثقافية، وإنما يركز على الكيفية التي يعيد بها البياتي بناء الشخصيات الأسطورية لتغدو أقنعة تتشكل من خلالها الذات الشاعرة وتعيد إنتاج رؤيتها للواقع.

واعتمد البحث المنهج التحليلي النقدي في دراسة نماذج مختارة من شعر البياتي، مستندًا إلى التمييز بين القناع الأسطوري والأسطورة والرمز، وتحليل آليات التماهي بين الذات الشاعرة والقناع، وطبيعة الوظائف التي يؤديها كل قناع داخل البنية الشعرية. وأظهرت الدراسة أن الشخصيات الأسطورية لا تؤدي وظيفة واحدة في شعر البياتي، وإنما تتباين وظائفها تبعًا للسياق الشعري؛ فكل قناع يسهم في بناء صورة مخصوصة للذات الشاعرة، ويكشف جانبًا من رؤيتها الفكرية والجمالية. كما بينت الدراسة أن البياتي لا يستحضر الشخصيات الأسطورية بصورتها الموروثة، بل يعيد تشكيلها داخل النص بما ينسجم مع تجربته الشعرية، فتتحول من مرجعيات ثقافية إلى أصوات شعرية تشارك في إنتاج المعنى وبناء الذات داخل القصيدة.

الكلمات المفتاحية :القناع الأسطوري، الذات الشاعرة، عبد الوهاب البياتي، الشعر العربي الحديث، التحليل النصي.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

The mythical mask and the mechanisms of the formation of the poetic self in the poetry of Abdul Wahab Al-Bayati

M. M. Najwan Kamal Ali
njwankmallyalshmry@gmail.com
Ministry of Education
Directorate of Education, Wasit Governorate
Al-Aziziyah Education Department
Specialization: Arabic Literature

Abstract
This research examines the mythical mask as a poetic technique that contributes to the formation of the poetic self in the poetry of Abdul Wahab Al-Bayati. It begins with an analytical reading of the texts to reveal the nature of the relationship between the mythical figure and the poetic voice within the poem. The research does not merely trace the presence of myth or identify its cultural references, but rather focuses on how Al-Bayati reconstructs mythical figures into masks through which the poetic self is formed and its vision of reality is reproduced.
The research adopts a critical analytical approach in studying selected examples from Al-Bayati's poetry, based on the distinction between the mythical mask, myth, and symbol, and an analysis of the mechanisms of identification between the poetic self and the mask, as well as the nature of the functions that each mask performs within the poetic structure.
The study shows that mythical figures do not perform a single function in Al-Bayati's poetry, but rather their functions vary according to the poetic context. Each mask contributes to building a specific image of the poetic self and reveals an aspect of its intellectual and aesthetic vision. The study also revealed that al-Bayati does not invoke mythological figures in their inherited form, but rather reshapes them within the text in accordance with his poetic experience. Thus, they are transformed from cultural references into poetic voices that participate in the production of meaning and the construction of the self within the poem.
Keywords: Mythological mask, poetic self, Abd al-Wahhab al-Bayati, modern Arabic poetry, textual analysis.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

المقدّمة

شهد الشعر العربي الحديث تحولات فنية وفكرية عميقة أسهمت في تطوير بنية الخطاب الشعري وأدواته التعبيرية، إذ لم يعد الشاعر يعبّر عن تجربته الذاتية بصوت مباشر، وإنما اتجه إلى توظيف تقنيات فنية أتاحت له بناء رؤيته الشعرية ضمن مستويات دلالية أكثر اتساعًا وعمقًا. ومن أبرز هذه التقنيات القناع، الذي أصبح أحد أهم الوسائل الفنية في القصيدة الحديثة، لما يتيحه من إمكانات تعبيرية تساعد الشاعر على تجاوز المباشرة، وإعادة تشكيل تجربته الذاتية من خلال صوت شعري يتداخل فيه الواقعي بالمتخيل، والفردي بالجماعي.

ويُعد القناع الأسطوري من أكثر أشكال القناع حضورًا في الشعر العربي الحديث، لما تمتلكه الشخصيات الأسطورية من طاقة رمزية وقدرة على استيعاب التجارب الإنسانية المختلفة. إلا أن القيمة الفنية لهذا القناع لا تكمن في استحضار الأسطورة أو إعادة سرد أحداثها، وإنما في الكيفية التي تتحول بها الشخصية الأسطورية إلى أداة فنية تسهم في بناء الخطاب الشعري، وتكشف عن رؤية الشاعر وموقفه من الإنسان والواقع والتّاريخ. ومن هذا المنطلق، فإن دراسة القناع الأسطوري تتجاوز الاهتمام بالأسطورة بوصفها مرجعًا ثقافيًا، لتتجه إلى تحليل وظيفتها داخل النص الشعري بوصفها تقنية لإنتاج الصوت الشعري وإعادة تشكيل الذات.

ويُعد عبد الوهاب البياتي من أبرز شعراء الحداثة العربية الذين أفادوا من القناع الأسطوري في بناء تجربتهم الشعرية، إذ شكّل هذا القناع عنصرًا أساسيًا في مشروعه الإبداعي، ولم يكن حضوره مجرد توظيف للتراث الأسطوري، بل جاء مرتبطًا برؤيته الفكرية والإنسانية، وبسعيه إلى التعبير عن قضايا الاغتراب والمنفى والحرية والرفض، من خلال شخصيات أسطورية أعاد تشكيلها بما ينسجم مع تجربته الشعرية. وبهذا أصبح القناع الأسطوري في شعره وسيلة لبناء الذات الشاعرة وإنتاج صوت شعري تتداخل فيه حدود الأنا مع صوت الشخصية المستحضرة، في إطار فني يحقق للنص كثافة دلالية وتعددًا في مستويات القراءة.

وتتناول هذه الدراسة القناع الأسطوري وآليات تشكل الذات الشاعرة في شعر عبد الوهاب البياتي، انطلاقًا من النظر إلى القناع بوصفه تقنية شعرية، لا بوصفه رمزًا أو أسطورة قائمة بذاتها. وتسعى الدراسة إلى الكشف عن الكيفية التي تتشكل بها الذات الشاعرة عبر القناع الأسطوري، وبيان العلاقة

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

بين صوت الشاعر وصوت القناع، وتحليل الآليات الفنية التي أسهمت في بناء هذا التداخل داخل النص الشعري. كما تهدف إلى التمييز بين القناع والأسطورة والرمز والتناص، بما يحقق انسجامًا بين الإطار النظري والجانب التطبيقي، ويُبرز خصوصية تجربة عبد الوهاب البياتي في توظيف القناع الأسطوري ضمن مشروعه الشعري.

١. مشكلة البحث

تتمحور مشكلة البحث حول كيفية توظيف الشاعر عبد الوهاب البياتي للأسطورة بوصفها قناعًا أسطوريًا لإعادة تمثّل الذات الشاعرة في الشعر العربي الحديث. فبينما كان القناع والأسطورة من العناصر المعروفة في النصوص الأدبية، برزت الحاجة في الشعر الحديث إلى إعادة توظيف الأسطورة بوصفها أداة فنية لتجاوز المباشرة والغنائية الفردية، وبناء خطاب شعري متعدد الأصوات يعكس التجربة الإنسانية المعاصرة.

وتطرح المشكلة التساؤلات التالية:

أ. كيف يحوّل البياتي الأسطورة إلى أداة فنية لبناء الذات الشاعرة؟

ب. ما دور القناع الأسطوري في تشكيل بنية شعرية متعددة الأصوات؟

ت. كيف يسهم هذا التوظيف في تجاوز المباشرة في التعبير الشعري؟

٢. أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في الآتي:

أ. بيان الكيفية التي يُوظَّف بها القناع الأسطوري بوصفه تقنية شعرية تسهم في تشكل الذات الشاعرة في شعر عبد الوهاب البياتي، بما ينسجم مع موضوع الدراسة وحدودها.

ب. الإسهام في توضيح الفروق المفاهيمية بين القناع والأسطورة والرمز والتناص، بما يساعد على تجنب الخلط بين هذه المفاهيم في تحليل النصوص الشعرية.

ت. الكشف عن الآليات الفنية التي تتشكل من خلالها الذات الشاعرة عبر القناع الأسطوري، من خلال تحليل نماذج مختارة من شعر عبد الوهاب البياتي، وربط النتائج بالإطار النظري للدراسة.

٣. أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

أ. تحديد مفهوم القناع الأسطوري وبيان خصائصه بوصفه تقنية فنية في الشعر العربي الحديث.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

ب. الكشف عن آليات تشكل الذات الشاعرة من خلال القناع الأسطوري في شعر عبد الوهاب البياتي.

ت. بيان العلاقة بين صوت الشاعر وصوت القناع، وتحليل أثرها في بناء الخطاب الشعري.

ث. التمييز بين القناع والأسطورة والرمز والتناص، وبيان أثر ذلك في توجيه القراءة النقدية للنصوص الشعرية محل الدراسة.

٤. فرضية البحث

يفترض البحث أن الشاعر عبد الوهاب البياتي يوظف القناع الأسطوري بوصفه آلية فنية لإعادة تمثّل الذات الشاعرة، بحيث تتحول التجربة الفردية إلى تجربة إنسانية متعددة الأصوات، ويتيح له ذلك تجاوز المباشرة في التعبير الشعري.

٥. منهجية البحث

اعتمد البحث المنهج التحليلي النقدي، من خلال دراسة عدد من النصوص الشعرية لعبد الوهاب البياتي، مع التركيز على تحليل القناع الأسطوري بوصفه عنصرًا بنيويًا في تشكيل النص الشعري. كما تم توظيف التحليل البنيوي والدلالي للكشف عن آليات بناء الذات الشاعرة من خلال الرمز الأسطوري، وربط النصوص بسياقها الفني والفكري، بما يسهم في تفسير دلالات الأسطورة وتحولاتها داخل البنية الشعرية.

٦. الدراسات السابقة

أجرت **تواتي، سلوى طلبية(٢٠٢٤)** دراسة بعنوان "**تجليات القناع في شعر عبد الوهاب البياتي**"، نُشرت في **مجلة آفاق علمية** .هدفت الدراسة إلى الكشف عن حضور تقنية القناع في التجربة الشعرية لعبد الوهاب البياتي، وبيان أهم أنماط الأقنعة التي وظفها الشاعر ووظائفها الفنية والدلالية. واعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي في دراسة عدد من النصوص الشعرية، وانتهت إلى أن القناع يمثل إحدى أبرز التقنيات الفنية التي أسهمت في تجديد الخطاب الشعري لدى البياتي، إذ مكّنه من التعبير عن رؤاه الفكرية والإنسانية عبر شخصيات تاريخية وأسطورية وصوفية متعددة، ومن تجاوز حدود التعبير الذاتي المباشر إلى فضاءات أكثر رحابة ودلالة.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

وتتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في اهتمامها بالقناع في شعر عبد الوهاب البياتي، وفي اعتمادها المنهج التحليلي للكشف عن وظائف القناع داخل النص الشعري. إلا أنها تختلف عنها في أن اهتمامها انصب على إبراز تجليات القناع وأنواعه ووظائفه العامة، في حين تركز الدراسة الحالية على **القناع الأسطوري بوصفه تقنية شعرية تسهم في تشكل الذات الشاعرة وإنتاج صوتها الشعري**، مع محاولة الكشف عن الآليات الفنية التي تتحقق من خلالها هذه العملية داخل النص.

قدمت **تواتي، سلوى طليبة(٢٠٢٤)** دراسة أخرى بعنوان "**الظواهر الأسلوبية في أقنعة الشاعر عبد الوهاب البياتي**"، نُشرت في **مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية** .سعت الدراسة إلى تحليل البنية الأسلوبية التي تقوم عليها أقنعة البياتي الشعرية، والكشف عن الوسائل اللغوية والفنية التي أسهمت في تشكيلها، مع بيان أثرها في تعميق الدلالة الشعرية وإثراء البناء الفني للنص. وقد خلصت الباحثة إلى أن تقنية القناع لا تؤدي وظيفة دلالية فحسب، وإنما تمثل وسيلة أسلوبية فاعلة في تجديد اللغة الشعرية، وإنتاج مستويات متعددة من المعنى داخل النص.

وتلتقي هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في اهتمامها بالقناع بوصفه تقنية فنية في شعر البياتي، إلا أنها تختلف عنها في تركيزها على الجوانب الأسلوبية واللغوية للقناع، بينما تنصرف الدراسة الحالية إلى تحليل **القناع الأسطوري وعلاقته بتكوين الذات الشاعرة، وكيفية تفاعل الصوت الشعري مع الشخصية الأسطورية داخل بنية النص**، وهو جانب لم يكن محوراً أساسياً في الدراسة السابقة.

أما دراسة **وقاد، مسعود(٢٠٢٣)** الموسومة "**القناع الصوفي في شعر عبد الوهاب البياتي**"، والمنشورة في **مجلة الآداب – جامعة بغداد**، فقد تناولت القناع الصوفي بوصفه إحدى أهم التقنيات الفنية التي اعتمدها البياتي في بناء خطابه الشعري. وسعت الدراسة إلى بيان كيفية توظيف الشخصيات الصوفية في التعبير عن التجربة الشعرية، والكشف عن العلاقة بين الشاعر والقناع، ودور هذه التقنية في الانتقال من التعبير الغنائي المباشر إلى البناء الدرامي. وقد توصلت الدراسة إلى أن القناع الصوفي يمثل أداة فنية تمنح النص بعداً فكرياً وجمالياً، وتسهم في تعميق التجربة الشعرية وإثراء مستوياتها الدلالية.

وتتشابه هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في النظر إلى القناع بوصفه تقنية شعرية، وفي تناولها شعر عبد الوهاب البياتي، إلا أنها اقتصرت على **القناع الصوفي** دون غيره، بينما تختص الدراسة الحالية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

بدراسة **القناع الأسطوري**، وتسعى إلى الكشف عن دوره في بناء الذات الشاعرة، وتحليل العلاقة بين الشخصية الأسطورية وصوت الشاعر، وبيان الكيفية التي تتشكل بها الذات داخل القناع الأسطوري.

الفجوة البحثية

يتبين من استعراض الدراسات السابقة أن معظمها انصرف إلى دراسة القناع من حيث أنواعه، أو خصائصه الأسلوبية، أو تطبيقاته الصوفية، في حين لم تُفرد دراسة مستقلة للكشف عن القناع الأسطوري بوصفه تقنية شعرية تُنتج الذات الشاعرة وآليات تشكلها داخل النص .كما أن أغلب الدراسات ركزت على الدلالات الفكرية والرمزية للشخصيات المستحضرة، أكثر من تركيزها على العلاقة بين القناع والصوت الشعري وآليات بناء الذات. ومن هنا تنطلق الدراسة الحالية لسد هذه الفجوة، من خلال تحليل القناع الأسطوري باعتباره أداة فنية لإنتاج الذات الشاعرة، مع التمييز المنهجي بين القناع والرمز والأسطورة والتناص، وإبراز خصوصية هذه التقنية في شعر عبد الوهاب البياتي.

مفهوم القناع في النقد الأدبي الحديث

يُعد القناع من أبرز التقنيات الفنية التي استأثرت باهتمام النقد الأدبي الحديث، لارتباطه الوثيق بالتحولات التي شهدتها القصيدة الحديثة في بنيتها الفنية وأساليبها التعبيرية. فقد اتجه الشعراء إلى تجاوز أسلوب البوح المباشر، والبحث عن وسائل فنية أكثر قدرة على استيعاب التجربة الشعرية وإبراز أبعادها الفكرية والإنسانية، فكان القناع إحدى هذه الوسائل التي أتاحت للشاعر التعبير عن رؤيته من خلال شخصية أخرى يتخذها وسيطًا فنيًا داخل النص (الزبيدي، ٢٠٠٨، ص ٣٤).

وينظر النقد الحديث إلى القناع بوصفه تقنية شعرية تقوم على اندماج صوت الشاعر بصوت شخصية تاريخية أو أسطورية أو دينية أو تراثية، بحيث لا تبقى الشخصية المستحضرة مجرد عنصر داخل النص، بل تتحول إلى أداة فنية تتجسد من خلالها رؤية الشاعر وتجربته. وبهذا المعنى لا يكون القناع مجرد استعارة أو رمز، وإنما بنية فنية تُسهم في إنتاج الخطاب الشعري وإثراء مستوياته الدلالية (علي، ١٩٩٥، ص ٨١؛ الزبيدي، ٢٠٠٨، ص ٤١).

ولا يتحقق القناع بمجرد استحضار شخصية معروفة، وإنما يتحقق عندما يحدث تداخل بين ذات الشاعر وذات الشخصية المستحضرة، فينشأ صوت شعري جديد يجمع بين التجربتين داخل إطار فني واحد. فالشاعر لا يعيد إنتاج الشخصية كما وردت في مصادرها التاريخية أو الأسطورية، وإنما

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

يعيد تشكيلها بما ينسجم مع تجربته الخاصة وموقفه من الواقع، فتغدو الشخصية معبرة عن رؤيته لا عن ذاتها الأصلية (الزبيدي، ٢٠٠٨، ص ٤٨).

وقد ارتبط شيوع هذه التقنية بتطور القصيدة الحديثة واتجاهها نحو الإفادة من العناصر الدرامية، إذ أتاح القناع للشاعر بناء نص يقوم على تعدد الأصوات والحوار الداخلي، بعيدًا عن أحادية الصوت التي ميّزت كثيرًا من أنماط الشعر التقليدي. وأسهم هذا التعدد في منح القصيدة أبعادًا فكرية وجمالية أعمق، وجعلها أكثر قدرة على استيعاب التجارب الإنسانية المركبة (فضل، ١٩٩٥، ص ١١٢؛ حمودة، ١٩٩٨، ص ٩٣).

كما أن النقاد يرون أن القناع يحقق قدرًا من الموضوعية الفنية، لأنه يخفف من هيمنة الصوت الذاتي المباشر، ويتيح للشاعر التعبير عن أفكاره من خلال وسيط فني، الأمر الذي يمنح النص مساحة أوسع للتأويل، ويُبعده عن المباشرة والتقريرية. لذلك أصبح القناع من السمات البارزة في تجارب عدد من شعراء الحداثة، الذين وجدوا فيه وسيلة للتعبير عن قضايا الإنسان المعاصر في أبعادها السياسية والوجودية والاجتماعية (الغذامي، ٢٠٠٦، ص ١٢٦؛ عباس، ١٩٩٨، ص ٧٤).

وقد انتقل مفهوم القناع إلى النقد العربي الحديث متأثرًا بالدراسات الغربية وبالتحولات التي شهدها الشعر العربي المعاصر، فحظي بعناية النقاد الذين سعوا إلى تحديد مفهومه وبيان وظائفه الفنية، ولا سيما في الدراسات التي تناولت شعر الرواد، ومن بينهم عبد الوهاب البياتي، الذي عدّ القناع إحدى الركائز الأساسية في بناء تجربته الشعرية. غير أن أهمية القناع في شعر البياتي لا تتأتى من استحضار الشخصيات الأسطورية في حد ذاته، وإنما من الكيفية التي تتحول بها هذه الشخصيات إلى أصوات شعرية تعبّر عن رؤيته للإنسان والواقع، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عنه في الجانب التطبيقي (تواتي، ٢٠٢٤، ص ١٤٥).

القناع الأسطوري بوصفه تقنية شعرية

لا تنبع أهمية القناع الأسطوري في الشعر الحديث من استحضار الشخصية الأسطورية ذاتها، وإنما من الوظيفة الفنية التي تؤديها داخل النص الشعري. فالشاعر لا يستدعي الشخصية لإعادة عرض أحداثها أو بيان دلالاتها التاريخية، وإنما يعيد تشكيلها لتصبح وسيطًا فنيًا تتجسد من خلاله رؤيته الشعرية. وبذلك يغدو القناع عنصرًا بنائيًا يسهم في تشكيل الخطاب الشعري، لا مجرد إحالة إلى مرجعية أسطورية (الزبيدي، ٢٠٠٨، ص ٩٣).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

ويقتضي هذا التوظيف أن تتجاوز الشخصية الأسطورية حضورها بوصفها مادة تراثية، لتدخل في علاقة تفاعل مع تجربة الشاعر، فتغدو جزءًا من البنية الداخلية للنص. ونتيجة لهذا التفاعل يتشكل صوت شعري تتداخل فيه ملامح الشاعر مع ملامح الشخصية المستحضرة، من غير أن يفقد كل منهما خصوصيته. ومن ثم فإن القناع لا يقوم على إلغاء صوت الشاعر، ولا على إعادة إنتاج الشخصية الأسطورية بصورتها الموروثة، وإنما على بناء صوت جديد تتحد فيه التجربتان داخل إطار شعري واحد (أبو زكي، ٢٠١٣، ص ٦١).

إن وجود شخصية أسطورية في القصيدة لا يعني بالضرورة تحقق القناع؛ لأن حضور الشخصية قد يأتي بوصفها رمزًا أو إحالة ثقافية أو عنصرًا من عناصر التناص، من دون أن تؤدي وظيفة القناع. أما القناع فيتحقق عندما تصبح الشخصية الأسطورية أداةً لبناء التجربة الشعرية، ويتحول صوتها إلى وسيط تعبيري تتشكل من خلاله الذات الشاعرة، وهو ما يميز هذه التقنية عن غيرها من الأساليب الفنية في الشعر الحديث (علي، ١٩٩٥، ص ٩١؛ الزبيدي، ٢٠٠٨، ص ٦٤؛ تواتي، ٢٠٢٤، ص ١١٨).

ومن هذا المنظور، تنصرف هذه الدراسة إلى تحليل القناع الأسطوري بوصفه تقنية شعرية تُسهم في تشكل الذات الشاعرة، ولا تتجه إلى دراسة الأسطورة في ذاتها أو بيان أصولها ومضامينها؛ لأن ذلك يخرج عن حدود البحث. لذلك سيكون التركيز في الجانب التطبيقي على الكيفية التي يؤدي بها القناع وظيفة فنية في بناء الصوت الشعري، وعلى الآليات التي تتشكل من خلالها الذات داخل النص، وهو ما ينسجم مع عنوان الدراسة وأهدافها (وقاد، ٢٠٢٣، ص ٧٩؛ تواتي، ٢٠٢٤، ص ١٢٤).

الأسطورة ووظيفتها في الخطاب الشعري

تمثل الأسطورة أحد المصادر المهمة التي استند إليها الشعر الحديث في بناء رؤيته الفنية والفكرية، إذ لجأ الشعراء إلى استحضار الرموز والأساطير القديمة بوصفها أدوات تعبيرية قادرة على احتواء التجربة الإنسانية في أبعادها التاريخية والوجودية. وقد ارتبط توظيف الأسطورة في الشعر الحديث بمحاولة تجاوز التعبير المباشر عن الواقع، والبحث عن لغة شعرية رمزية تسمح بإيصال المعاني بطريقة أكثر عمقًا وإيحاء "فالأساطير ليست مجرد حكايات وهمية جميلة يعاد سردها على سبيل التسلية والترف ، بل هي محاولات حاسمة لحل التناقضات المريرة في الوجود الإنساني" (الغانمي ، ١٩٩١، ص ٢٦)

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

ومن هنا اكتسبت الأسطورة أهمية خاصة في الخطاب الشعري الحديث، حيث أصبحت وسيلة فنية للتعبير عن قضايا معاصرة من خلال رموز ودلالات مستمدة من التراث الإنساني القديم. وقد أسهم توظيف الأسطورة في إثراء النص الشعري وإضفاء أبعاد رمزية جديدة عليه، إذ تسمح الأسطورة للشاعر بأن يربط بين الماضي والحاضر، وأن يستحضر تجارب إنسانية عميقة تتجاوز حدود الزمن والمكان.

كما أن هذا التوظيف يمنح القصيدة طابعًا كونيًا يجعلها أكثر قدرة على التعبير عن هموم الإنسان في مختلف العصور. وفي الشعر العربي الحديث ظهر استخدام الأسطورة بشكل واضح منذ منتصف القرن العشرين، حيث اتجه عدد من الشعراء إلى استلهام الأساطير القديمة لإعادة بناء رؤيتهم الشعرية. وقد جاء هذا الاتجاه متأثرًا بالتحولات الفكرية والجمالية التي شهدها الأدب العالمي، إضافة إلى رغبة الشعراء العرب في البحث عن وسائل فنية جديدة تعبر عن واقعهم السياسي والاجتماعي. (أدونيس ، ١٩٧٤، ص ٦٨).

مفهوم الأسطورة في الدراسات النقدية

تُعد الأسطورة من المفاهيم التي حظيت باهتمام واسع في الدراسات الإنسانية والنقدية؛ لما تمثله من مكوّن ثقافي ارتبط بمحاولات الإنسان الأولى في تفسير الوجود والكون والظواهر التي عجز عن إدراك أسبابها تفسيرًا علميًا. وقد تعددت تعريفات الأسطورة تبعًا لاختلاف الحقول المعرفية التي تناولتها، إلا أنها تُفهم في الدراسات الأدبية بوصفها بناءً سرديًا ذا طبيعة رمزية، تشكل عبر الوعي الجمعي، واكتسب حضوره من قدرته على التعبير عن قضايا إنسانية تتجاوز حدود الزمان والمكان (شلبي، ٢٠٠٣، ص١٨؛ عبد المطلب، ٢٠٠١، ص٤١).

وفي النقد الأدبي الحديث لم تعد الأسطورة تُدرس بوصفها حكاية موروثة أو وثيقة تاريخية، وإنما بوصفها بنية ثقافية قابلة لإعادة التشكيل داخل العمل الأدبي. فالنص الإبداعي لا يستعيد الأسطورة كما وردت في مصادرها الأولى، بل يعيد إنتاجها وفق رؤية المبدع وسياق النص، الأمر الذي يمنحها دلالات جديدة تختلف عن دلالاتها الأصلية (العبد، ١٩٩٨، ص٦٧؛ شلبي، ٢٠٠٣، ص٥٢).

تمثل الأسطورة مرجعًا ثقافيًا يستند إليه الشاعر في بناء تجربته الشعرية، إلا أن حضورها داخل النص لا يكون على صورة واحدة؛ فقد ترد بوصفها رمزًا، أو تدخل في إطار التناص، أو تتحول إلى

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

قناع شعري إذا أصبحت الشخصية الأسطورية هي الوسيط الذي تتشكل من خلاله التجربة الشعرية. ولهذا فإن التمييز بين هذه المستويات يُعد ضروريًا عند دراسة النصوص الشعرية، لأن مجرد استحضار الأسطورة لا يعني تحقق القناع الأسطوري (الزبيدي، ٢٠٠٨، ص٧٩؛ علي، ١٩٩٥، ص٣٦).

إن هذه الدراسة لا تتناول الأسطورة لذاتها، ولا تهدف إلى تحليل مضامينها أو تتبع أصولها، وإنما تنظر إليها في حدود علاقتها بالقناع الأسطوري بوصفها مرجعية ثقافية تسهم في بناء الشخصية التي يتخذها الشاعر وسيطًا للتعبير عن تجربته. ومن ثم فإن الاهتمام سينصرف في الجانب التطبيقي إلى تحليل الكيفية التي تُسهم بها الشخصية الأسطورية في تشكل الذات الشاعرة، لا إلى شرح الأسطورة أو بيان رموزها (الموسوي، ٢٠١٠، ص١١٣؛ الزبيدي، ٢٠٠٨، ص٩١).

العلاقة بين القناع الأسطوري وتشكل الذات الشاعرة

لا يكتسب القناع الأسطوري أهميته في الخطاب الشعري من الشخصية التي يستند إليها فحسب، وإنما من العلاقة التي تنشأ بين تلك الشخصية والذات الشاعرة داخل النص. فالقناع لا يؤدي وظيفة تمثيل شخصية أسطورية مستقلة، بل يصبح وسيطًا تعبيريًا تُعاد من خلاله صياغة التجربة الشعرية، بحيث تتداخل حدود الأنا مع حدود الشخصية المستحضرة، وينتج عن هذا التداخل صوت شعري جديد يحمل ملامح الطرفين في آن واحد (علي، ١٩٩٥، ص٤٤).

وتتجلى هذه العلاقة في قدرة الشاعر على إعادة بناء الشخصية الأسطورية بما ينسجم مع تجربته الخاصة، فلا تبقى الشخصية حاملةً لدلالاتها الموروثة فحسب، بل تكتسب دلالات جديدة يفرضها سياق القصيدة. وبهذا المعنى لا تكون الذات الشاعرة منفصلة عن القناع، كما لا يهيمن القناع على صوت الشاعر، وإنما تقوم العلاقة بينهما على التفاعل والتداخل، وهو ما يمنح الخطاب الشعري طبيعته الحوارية وتعدده الدلالي (الزبيدي، ٢٠٠٨، ص١٠٢).

ويُعد فهم هذه العلاقة أساسًا في دراسة القناع الأسطوري؛ لأن القيمة الفنية للقناع لا تتحقق بمجرد استحضار الشخصية الأسطورية، وإنما بالطريقة التي تتحول بها إلى أداة لبناء الذات داخل النص. لذلك فإن التحليل النقدي لا ينصرف إلى تتبع أصول الشخصية أو بيان دلالاتها التاريخية، بل يركز على الكيفية التي تُسهم بها في تشكيل الصوت الشعري والكشف عن رؤية الشاعر للعالم (تواتي، ٢٠٢٤، ص٦١).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

تعتمد هذه الدراسة على النظر إلى القناع الأسطوري بوصفه تقنية شعرية تسهم في تشكل الذات الشاعرة، وتتناول النصوص الشعرية من هذا المنظور، بعيدًا عن الاقتصار على شرح الأساطير أو تصنيف رموزها، تحقيقًا للانسجام بين الإطار النظري والجانب التطبيقي (وقاد، ٢٠٢٣، ص٩٢؛ عبد الله، ٢٠٠٢، ص١١٧).

مفهوم الذات الشاعرة وآليات تشكلها

تُعد الذات الشاعرة أحد المفاهيم الرئيسة في الدراسات النقدية الحديثة، ويقصد بها الصورة التي تتجلى فيها ذات الشاعر داخل النص الشعري، لا بوصفها انعكاسًا مباشرًا لشخصيته الواقعية، وإنما بوصفها بناءً فنيًا يتشكل من خلال اللغة والصور والعلاقات النصية. ومن ثم فإن الذات الشاعرة ليست مرادفًا للشاعر بوصفه شخصًا، وإنما هي ذات نصية تتكون داخل الخطاب الشعري، وتكتسب ملامحها من طبيعة التجربة وآليات التعبير التي يعتمدها النص (يوسف، ٢٠٠٥، ص٥٤؛ عباس، ١٩٩٨، ص٧٣).

وتتخذ الذات الشاعرة صورًا متعددة تبعًا للتقنيات الفنية التي يوظفها الشاعر، ويُعد القناع الأسطوري من أبرز هذه التقنيات؛ لأنه يتيح للذات أن تعبّر عن رؤيتها من خلال شخصية أخرى، من غير أن تفقد خصوصيتها أو تذوب في الشخصية المستحضرة. وبهذا تتشكل الذات عبر عملية تفاعل بين صوت الشاعر وصوت القناع، فينشأ خطاب شعري تتداخل فيه الأصوات، مع احتفاظ النص بوحدته الفنية (الزبيدي، ٢٠٠٨، ص١٠٩).

ولا يعني هذا التداخل أن القناع يحل محل الذات الشاعرة، أو أن الشاعر يتخلى عن صوته، بل إن الذات تعيد تشكيل حضورها من خلال القناع، فتمنحه دلالات جديدة تنبع من سياق التجربة الشعرية. ولهذا فإن القناع لا يُنظر إليه بوصفه غاية فنية، وإنما بوصفه وسيلة تتجسد عبرها الذات، وتكشف من خلالها عن رؤيتها للواقع والإنسان والوجود (أبو زكي، ٢٠١٣، ص٩٥؛ الزبيدي، ٢٠٠٨، ص١١٥).

تعتمد الدراسة مفهوم الذات الشاعرة بوصفها ذاتًا نصية تتشكل داخل القصيدة عبر القناع الأسطوري، ولا تنظر إليها باعتبارها انعكاسًا مباشرًا لحياة الشاعر أو مواقفه الشخصية. ويُعد هذا التحديد الإجرائي أساسًا للجانب التطبيقي، إذ سيُعتمد في تحليل النصوص على الكشف عن الآليات التي

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

تتشكل بها الذات داخل القناع، وبيان طبيعة العلاقة بينهما في بناء الخطاب الشعري (تواتي، ٢٠٢٤، ص٦٨).

الذات الغنائية والذات القناعية

تتخذ الذات الشاعرة في الشعر الحديث أشكالًا متعددة، من أبرزها الذات الغنائية والذات القناعية. فالذات الغنائية تمثل الشكل التقليدي للتعبير الشعري، حيث يتحدث الشاعر بصوته المباشر معبرًا عن مشاعره وأفكاره الشخصية. وفي هذا النوع من الشعر تكون العلاقة بين الشاعر والنص علاقة مباشرة، إذ تظهر التجربة الشعرية بوصفها انعكاسًا لمشاعر الشاعر الذاتية. أما الذات القناعية فهي الشكل الذي برز بوضوح في الشعر الحديث، حيث يلجأ الشاعر إلى استخدام شخصية أسطورية أو رمز أسطوري ليعبّر من خلالها عن تجربته. وفي هذه الحالة لا يتحدث الشاعر بصوته المباشر، بل يتخفى خلف قناع شعري يتيح له التعبير عن أفكاره بطريقة غير مباشرة. وقد أدى هذا التحول إلى ظهور بنية شعرية أكثر تعقيدًا، إذ لم يعد النص الشعري قائمًا على صوت واحد، بل أصبح فضاءً تتداخل فيه الأصوات المختلفة. ومن خلال هذا التداخل تتحقق أبعاد دلالية جديدة للنص، حيث تتفاعل تجربة الشاعر مع التجارب الإنسانية التي يمثلها القناع الأسطوري. وفي شعر عبد الوهاب البياتي يظهر هذا التحول بوضوح، إذ يعتمد الشاعر على عدد من الأقنعة الأسطورية المستمدة من الموروث الإغريقي والرافديني، مثل سيزيف، وأوليس، وبنلوب، وعشتار و تموز، والثور المجنح . ومن خلال هذه الأقنعة يتمكن الشاعر من التعبير عن رؤيته للواقع الإنساني وتجربته في المنفى والاغتراب. فهذه الشخصيات لا تحضر بوصفها رموزًا اسطورية جامدة، بل تتحول داخل النص إلى أدوات فنية تكشف عن أبعاد الذات الشاعرة وصراعها مع القهر والقلق الوجودي. إن الذات القناعية تمثل تطورًا مهمًا في بنية الشعر الحديث، حيث تسمح للشاعر بتجاوز حدود التعبير الذاتي المباشر نحو بناء رؤية شعرية أكثر شمولًا وعمقًا. (عبد المطلب ، ٢٠٠١، ص ١٤٨).

القناع الأسطوري الإغريقي وآليات تشكل الذات الشاعرة

يشغل القناع الأسطوري الإغريقي مساحة بارزة في التجربة الشعرية لعبد الوهاب البياتي، إذ يتجاوز استدعاء الشخصيات الأسطورية بوصفها مكونات تراثية أو رموزًا جاهزة، ليجعلها أقنعة فنية تتشكل من خلالها الذات الشاعرة، وتعيد بوساطتها التعبير عن رؤيتها للوجود والإنسان والتاريخ. فالشخصية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

الأسطورية لا تحضر بوصفها غاية في ذاتها، وإنما تصبح بنية رمزية يندمج فيها صوت الشاعر بصوتها، فتتداخل الأزمنة وتتقاطع التجارب، ويتحول الماضي الأسطوري إلى أداة للكشف عن أزمات الحاضر. ومن ثم يغدو القناع الإغريقي وسيلة فنية لبناء الذات الشعرية، وإبراز تحولات وعيها بين المنفى والانتظار والمقاومة والبحث الدائم عن الخلاص.

ففي قصيدة «**سلامًا أثينا**» من ديوان *عشرون قصيدة من برلين* يستحضر البياتي شخصيات **بنلوب** و**أوليس** وآلهة **الأولمب**، فيقول:

الشمس في معسكر اعتقال
تحرسها الكلاب والتلال
لعل ألف ليلةٍ مرّت
(بنلوب) في انتظارها
تغزل ثوب النار
أو (أوليس) في جزيرة المحال
يرسف في الأغلال
لعل في (الأولمب) لا تزال
آلهة الإغريق تستجدي
عقيم البرق في الجبال.
(البياتي، ١٩٩٥، ص٣١٥).

يعيد البياتي توظيف هذه الشخصيات خارج إطارها الأسطوري التقليدي، فبنلوب لم تعد الزوجة التي تنتظر عودة أوليس، وإنما أصبحت قناعًا لذات تؤجل انكسارها بالانتظار، وتتمسك بأمل يتآكل مع الزمن. أما أوليس فلا يظهر في صورة البطل الذي ينجح في العودة إلى وطنه، بل يتحول إلى صورة للإنسان المنفي الذي تستحيل رحلته إلى قدر دائم، فتغدو العودة احتمالًا مؤجلًا لا يتحقق. كما أن آلهة الأولمب لا تمثل سلطة قادرة على الإنقاذ، وإنما تظهر فاقدة لقدرتها على الفعل، وهو ما يكشف انهيار المرجعيات الكبرى التي كانت تمنح الإنسان يقينًا روحيًا أو تاريخيًا. وبهذا تصبح الشخصيات الأسطورية وسائط تتحدث الذات من خلالها عن اغترابها، فتغدو الأسطورة معادلاً لتجربتها الوجودية أكثر من كونها إحالة إلى الماضي.

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

ويتكرر هذا البناء في قصيدة «**في المنفى** «من ديوان *أباريق مهشمة*، من خلال استدعاء شخصية **سيزيف**، إذ يقول:

عبثًا نحاول – أيها الموتى – الفرار
من مخلب الوحش العنيد
من وحشة المنفى البعيد
الصخرة الصماء للوادي يدحرجها العبيد
سيزيف يبعث من جديد... من جديد
في صورة المنفي الشريد.
(البياتي، ١٩٩٥، ص١٨١).

لا يستدعي البياتي سيزيف بوصفه رمزًا للعذاب الأبدي فحسب، وإنما يحوله إلى قناع شعري تتجسد من خلاله الذات وهي تواجه واقعًا لا يكف عن إعادة إنتاج معاناتها. فالصخرة لم تعد عقوبة أسطورية، بل أصبحت صورة للاستمرار في مقاومة واقع المنفى رغم إدراك صعوبة تغييره. كما أن افتتاح النص بضمير الجمع في قوله: «عبثًا نحاول» يوسع التجربة لتصبح تجربة جماعية، في حين يؤكد تكرار عبارة «من جديد» أن المقاومة ليست فعلًا عابرًا، وإنما حالة وجودية مستمرة، الأمر الذي يجعل سيزيف معادلًا للذات الشاعرة وهي تعيد بناء وجودها في مواجهة العبث.

ويتسع حضور القناع الإغريقي في الديوان نفسه من خلال استحضار شخصية أورفيوس في قصيدة «الموتى لا ينامون»، إذ يقول:

ماتت على سور الليالي، مات أورفيوس
ومات في داخلك النهر الذي أرضع نيسابور
وحمل الأعشاب والزوارق الصغيرة
إلى البحار، حمل البذور
وعربات النور.
(البياتي، ١٩٩٥، ص٢٤١)

لا يظهر أورفيوس هنا بوصفه الموسيقي الأسطوري الذي يهبط إلى العالم السفلي لاستعادة محبوبته، وإنما يتحول إلى قناع لانطفاء القدرة على الإبداع والانبعاث. فاقتران موته بموت النهر داخل الذات

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

يكشف أن البياتي يجعل الشخصية الأسطورية معادلًا لانهيار الطاقة الروحية التي كانت تمنح الذات قدرتها على الاستمرار. ومن ثم لا يصبح أورفيوس شخصية مستقلة داخل النص، بل يغدو صوتًا آخر تنطق من خلاله الذات الشاعرة وهي تستشعر فقدان منابع الحياة والإبداع، فيتحول القناع إلى وسيلة للكشف عن التحول الداخلي الذي أصاب الذات.

ويتكرر حضور القناع الإغريقي في قصيدة «الوريث»، إذ يقول:

بوذا وأورفيوس
المدن الغالبة المغلوبة
بابل، روما، نينوى وطيبة...
(البياتي، ١٩٩٥، ص١٤٢)

يضع البياتي أورفيوس ضمن سلسلة من الرموز الحضارية والإنسانية، فلا يعود يمثل تجربة فردية، وإنما يصبح جزءًا من ذاكرة إنسانية مشتركة. ويكشف هذا التداخل أن الذات الشاعرة لا ترى نفسها معزولة عن التاريخ، بل تقدم نفسها وريثةً لميراث ثقافي عالمي، الأمر الذي يمنح القناع وظيفة تتجاوز التعبير عن الاغتراب الفردي إلى التعبير عن أزمة الإنسان في مختلف الحضارات.

كما يستحضر البياتي شخصية سقراط في «تسع رباعيات»، فيقول:

لا بد يا سقراط
أن تجد المعنى وأن نمزق القماط...
(البياتي، ١٩٩٥، ص٢٥١)

ولا يحضر سقراط بوصفه الفيلسوف الإغريقي المعروف فحسب، وإنما يتحول إلى قناع للبحث الدائم عن الحقيقة. فالذات الشاعرة تستعير صوته لتؤكد أن مواجهة العبث لا تكون إلا بالسؤال والمعرفة، وبذلك يصبح سقراط امتدادًا لوعي الذات وهي تحاول اكتشاف معنى الوجود وسط واقع مضطرب.

ومن ثم فإن الأقنعة الإغريقية في شعر البياتي لا تؤدي وظيفة دلالية واحدة، وإنما تتنوع وظائفها بتنوع الشخصيات المستحضرة؛ فبنلوب تجسد ذاتًا تقاوم الزمن بالانتظار، وأوليس يمثل ذاتًا تستمر في البحث عن وطن مستحيل، وسيزيف يجسد إرادة المقاومة رغم عبثية الواقع، بينما يكشف أورفيوس عن انكسار الذات وفقدانها منابع الإبداع، ويجسد سقراط حضور العقل الباحث عن الحقيقة. وهكذا

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

تتحول الشخصيات الأسطورية إلى أقنعة شعرية تعيد الذات الشاعرة من خلالها بناء صوتها، وتمنح تجربتها أبعادًا إنسانية وحضارية تتجاوز حدود التجربة الفردية.

القناع الأسطوري الرافديني وآليات تشكل الذات الشاعرة

يمثل القناع الأسطوري الرافديني في شعر عبد الوهاب البياتي أحد أهم التقنيات الفنية التي اعتمدها الشاعر في بناء صوته الشعري وإعادة تشكيل الذات داخل النص. ولا يقتصر حضور الشخصيات الرافدينية على استدعاء بعدها التاريخي أو الديني، وإنما تتحول هذه الشخصيات إلى وسائط فنية تتكلم الذات من خلالها، فتمنح التجربة الشعرية بعدًا حضاريًا يتجاوز حدود الاعتراف الشخصي إلى التعبير عن الهم الجمعي. ومن ثم فإن وظيفة القناع لا تتمثل في إعادة إنتاج الأسطورة، وإنما في إعادة إنتاج الذات الشاعرة وهي تواجه أزمتها الوجودية والتاريخية.

وتتبع خصوصية القناع الرافديني عند البياتي من ارتباطه بالحضارة العراقية القديمة، إذ لم يختر الشاعر هذه الشخصيات بوصفها رموزًا جمالية مجردة، وإنما لأنها تختزن ذاكرة حضارية ارتبطت بفكرة الخصب والبعث والقوة والخلود، وهي القيم التي وجد فيها معادلًا موضوعيًا لأزمة الإنسان العربي في العصر الحديث. ولهذا فإن الذات الشاعرة لا تتحدث عن عشتار أو تموز أو بابل بوصفهم شخصيات مستقلة، وإنما تجعل منهم أصواتًا تتجسد فيها رؤيتها للواقع، فيغدو القناع أداة لإنتاج الخطاب الشعري لا موضوعًا للحديث.

ويتضح ذلك في قصيدة «**العودة من بابل**»، إذ يقول البياتي:

بابل تحت قدم الزمان
تنتظر البعث، فيا عشتار
قومي، املئي الجرار
وبللي شفاه هذا الأسد الجريح
وانتظري مع الذئاب ونواح الريح
ولتنزلي الأمطار
في هذه الخرائب الكئيبة
لكنما عشتار
ظلت على الجدار

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

مقطوعة اليدين، يعلو وجهها التراب

والصمت والأعشاب

...

تموز لن يعود للحياة.

(عبد الوهاب البياتي ، ١٩٩٥:ص ١٥٤)

لا يستعيد البياتي في هذا المقطع أسطورة عشتار وتموز بوصفها حكاية موروثة، وإنما يعيد تشكيلها بما ينسجم مع رؤيته الشعرية. فالنداء المتكرر» :فيا عشتار «لا يوجه إلى الإلهة ذاتها، بل يمثل خطابًا داخليًا تصدره الذات الشاعرة وهي تبحث عن قوة قادرة على انتشال الواقع من الخراب. ومن ثم فإن الضمير المستتر في أفعال الأمر (قومي، املئي، بللي، انتظري) يكشف عن ذات لا تزال تؤمن بإمكان الفعل، على الرغم من إدراكها استحالة الاستجابة، وهو ما يمنح الخطاب بعدًا دراميًا يتجاوز الوصف المباشر.

وتتجسد وظيفة القناع بصورة أوضح عندما تتحول عشتار من إلهة للخصب والانبعاث إلى شخصية »مقطوعة اليدين«؛ فهذه الصورة لا تصف الشخصية الأسطورية في ذاتها، بل تصف حالة الذات التي فقدت قدرتها على الفعل التاريخي. ومن هنا فإن الانكسار لا يصيب عشتار، وإنما يصيب الذات وهي تتكلم من داخل هذا القناع، ولذلك يصبح القناع وسيلة للكشف عن الأزمة الحضارية التي يعيشها الشاعر، لا مجرد استعارة لرمز أسطوري معروف.

كما أن إعلان الشاعر» :تموز لن يعود للحياة «يمثل انحرافًا مقصودًا عن البنية الأصلية للأسطورة؛ فتموز في الموروث الرافديني يرتبط بدورة الموت والبعث، غير أن البياتي ينفي إمكان العودة، ليؤكد أن الحاضر التاريخي أكثر قسوة من أن يسمح بتكرار المعجزة الأسطورية. وهنا تظهر الذات الشاعرة وهي تعيد كتابة الأسطورة بما ينسجم مع تجربتها الخاصة، فتغدو الأسطورة مادة يعاد تشكيلها داخل النص، لا مرجعًا يفرض دلالاته على الشاعر.

ولا يقل حضور المكان عن حضور الشخصية في بناء القناع؛ فبابل لا تؤدي وظيفة المكان التاريخي، وإنما تتحول إلى فضاء رمزي تنعكس فيه صورة الذات. فالمدينة التي «تنتظر البعث» ليست بابل وحدها، بل هي صورة للوطن وللإنسان العربي الذي يعيش بين ذاكرة حضارية عريقة

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

وواقع يتآكله الخراب. وبهذا تتداخل الذات الفردية بالذات الجمعية، ويتحول القناع من وسيلة للتخفي إلى وسيلة لتوسيع أفق التجربة الشعرية وربطها بالمصير الحضاري.

ويتواصل تشكل الذات الشاعرة عبر القناع الرافديني في قصيدة »الصورة والظل«، غير أن البياتي ينتقل فيها من تصوير الخراب إلى استحضار إمكانية استعادة الحياة، فيقول:

لو جمعت أجزاء هذي الصورة الممزقة
إذا لقامت بابل المحترقة
تنفض عن أسمالها الرماد
ورقّت في الجنائن المعلقة
فراشة وزنبقة
وابتسمت عشتار
وهي على سريرها تداعب القيثار
وعاد أوزوريس
لانطفأت أحزان حادي العيس
...
لسقط القناع
عن وجه هذا الشاهد المشوه المجدور
وانحسر الظل عن الصورة واندك جدار الزور.
(عبد الوهاب البياتي ، ١٩٩٥: ١٢٥)

يختلف بناء القناع في هذا النص عن القصيدة السابقة؛ إذ لم تعد الذات الشاعرة تقف أمام الخراب موقف الراصد العاجز، وإنما تتحول إلى ذات تمتلك رؤية استشرافية تتطلع إلى تجاوز الانهيار. ويبدأ هذا التحول بالفعل الشرطي »**لو جُمعت**«، وهو تركيب نحوي يكشف أن إمكانية النهوض ما تزال مؤجلة ومشروطة، الأمر الذي يعكس إدراك الذات لاستمرار الأزمة، مع احتفاظها بإيمانها بإمكان تجاوزها. ومن ثم فإن الزمن في القصيدة لا يتحرك بين الماضي والحاضر فحسب، بل ينفتح على مستقبل مأمول، وهو ما يجعل القناع وسيلة لبناء أفق شعري يتجاوز الواقع القائم.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

ولا تأتي **بابل** بوصفها مدينة تاريخية، وإنما تتحول إلى صورة للهوية الحضارية التي أصابها التشظي. فالصورة «الممزقة» لا تحيل إلى المكان وحده، بل تعكس تفتت الذات نفسها؛ ولهذا يرتبط بعث بابل بإعادة بناء الذات، لا بإحياء المدينة. إن البياتي يجعل المدينة تتكلم بلسان الإنسان، ويجعل الإنسان يحمل جراح المدينة، فتتداخل الذات الفردية بالذات الحضارية في خطاب واحد، وهو ما يمنح القناع وظيفة تتجاوز الإحالة التاريخية إلى إنتاج صوت شعري مركب.

ويبرز اختيار **عشتار** في هذا السياق بوصفه اختيارًا مقصودًا؛ فهي في الموروث الرافديني تمثل الخصب والتجدد، غير أن الشاعر لا يستحضرها ليعيد سرد الأسطورة، بل ليجعل منها قناعًا تتكلم الذات من خلاله. فابتسامتها وعزفها على القيثار لا يمثلان حدثًا أسطوريًا، وإنما يشيران إلى استعادة القدرة على الإبداع بعد مرحلة من الصمت والانكسار. وهكذا يصبح القناع أداة لتحويل الأسطورة إلى تجربة إنسانية معاصرة، تتداخل فيها الذاكرة الحضارية مع معاناة الذات الشاعرة. كما أن استحضار **أوزوريس** إلى جانب عشتار يكشف أن البياتي لا يقف عند حدود المرجعية الرافدينية وحدها، بل يفتح القناع على أفق أسطوري أوسع، ليؤكد أن فكرة البعث تمثل قيمة إنسانية عامة تتجاوز حدود الحضارات. ومع ذلك، فإن حضور أوزوريس لا يلغي مركزية عشتار وبابل، بل يعزز البنية الدلالية للنص، إذ تتكامل الشخصيات الأسطورية في التعبير عن رغبة الذات في الانبعاث واستعادة الفاعلية.

وتبلغ وظيفة القناع ذروتها في قوله» :لسقط القناع عن وجه هذا الشاهد المشوه«؛ فالقناع هنا لا يؤدي وظيفة الإخفاء، وإنما يصبح وسيلة لكشف الحقيقة. فالذات لا تختبئ خلف الشخصية الأسطورية، بل تستخدمها لتعرية الزيف الذي يحيط بالواقع، ولذلك ينتهي المقطع بانحسار الظل واندكاك جدار الزور، في إشارة إلى أن القناع يؤدي وظيفة معرفية وجمالية في آن واحد؛ إذ يتيح للذات أن تعبر عن موقفها من الواقع دون أن تقع في المباشرة الخطابية. وبذلك تتشكل الذات الشاعرة في هذه القصيدة من خلال حركة جدلية تجمع بين الذاكرة الحضارية والواقع المعاصر؛ فهي ذات تدرك حجم الخراب، لكنها لا تستسلم له، بل تستعين بالقناع الأسطوري لإنتاج رؤية شعرية تؤمن بإمكان التجدد. ومن هنا تتجاوز الشخصيات الرافدينية حدودها التراثية، لتصبح أصواتًا متعددة تنطق بلسان الذات، وتمنح التجربة الشعرية بعدًا حضاريًا وإنسانيًا يتجاوز حدود السيرة الفردية.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

ويتجلى هذا المسار بصورة أكثر تركيبًا في قصيدة »الوريث«، إذ يوسّع البياتي دائرة القناع الأسطوري والحضاري، فلا يقتصر على رمز واحد، وإنما يجعل الذات تتحرك بين حضارات متعددة، فيقول:

يجفُّ في عيون بوذا النور
تنقطع الجذور
...
بوذا وأورفيوس
المدن الغالبة المغلوبة
بابل، روما، نينوى وطيبة
الله والشيطان
وريث هذا العالم الإنسان.
(عبد الوهاب البياتي ، ١٩٩٥: ص ١٢٧)

يخرج البياتي في هذا النص من القناع الفردي إلى القناع الحضاري؛ فالذات الشاعرة لا تتماهى مع شخصية واحدة، وإنما تتحرك داخل شبكة من الأقنعة الثقافية، وهو ما يمنح الخطاب الشعري طابعًا إنسانيًا يتجاوز حدود المكان والزمان. فالانتقال من بوذا إلى أورفيوس، ثم إلى بابل ونينوى وروما وطيبة، لا يراد منه استعراض المعرفة التاريخية، بل بناء فضاء رمزي واسع تُقاس فيه أزمة الإنسان المعاصر بأزمات الحضارات التي سبقته. وهنا تتحول الذات إلى »وريث «يحمل ذاكرة الإنسانية كلها، وليس مجرد شاهد على واقعه الشخصي.

ويكشف العنوان »الوريث «عن مفتاح القراءة؛ إذ لا يرث الشاعر الماضي بوصفه أمجادًا منقضية، وإنما يرث خرابه وأسئلته ومصائره. ومن ثم فإن الشخصيات والأماكن المستحضرة لا تعمل بوصفها رموزًا مستقلة، بل تتكامل لتشكيل قناع جماعي تتكلم الذات من خلاله، فتتجاوز حدود الأنا الفردية لتصبح ذاتًا حضارية تحمل همّ الإنسان في مختلف العصور.

ويلاحظ أن البياتي لا يمنح هذه الرموز حضورًا متساويًا؛ فاختياره بابل ونينوى على وجه الخصوص يكشف ارتباط الذات بجذورها الحضارية العراقية، في حين يوسع استدعاء أورفيوس وبوذا أفق التجربة ليجعلها ذات بعد إنساني عالمي. وبهذا لا يعود القناع مجرد وسيلة للإخفاء، وإنما يصبح تقنية لإنتاج

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

تعدد الأصوات داخل النص؛ إذ تتجاور أصوات الحضارات المختلفة لتصب جميعها في صوت الذات الشاعرة.

وتؤدي البنية اللغوية دورًا أساسيًا في هذا التشكل؛ فالقصيدة تقوم على الجمل الاسمية والأفعال المضارعة مثل »يجف «و«تنقطع» و«يحوم»، وهي أفعال تمنح الحدث صفة الاستمرار، بما يوحي بأن أزمة الذات ليست حادثة عابرة، وإنما حالة متواصلة تمتد عبر الزمن. كما أن غياب ضمير المتكلم المباشر في معظم المقطع لا يعني غياب الذات، بل يدل على اندماجها الكامل في القناع، حتى يغدو صوت الحضارات القديمة هو نفسه صوت الشاعر. ومن ثم فإن القناع في هذه القصيدة لا يؤدي وظيفة دلالية فحسب، بل يسهم في بناء الرؤية الشعرية؛ إذ تتشكل الذات من خلال انتقالها المستمر بين الشخصيات والأمكنة، فتغدو بابل ونينوى وأورفيوس وبوذا مرايا متعددة تعكس أبعاد التجربة الإنسانية، وهو ما يمنح النص كثافة فكرية وجمالية، ويؤكد أن البياتي لا يستخدم الأسطورة للزينة الفنية، وإنما يوظفها لإعادة بناء الذات الشاعرة وإنتاج صوتها داخل القصيدة.

الخاتمة

سعى هذا البحث إلى الكشف عن آليات تشكل الذات الشاعرة في شعر عبد الوهاب البياتي من خلال القناع الأسطوري، انطلاقًا من قراءة تحليلية للنصوص الشعرية، بهدف بيان الكيفية التي أعاد بها الشاعر توظيف الشخصيات الأسطورية لتكوين صوته الشعري، بعيدًا عن التعامل مع الأسطورة بوصفها مادة تراثية مستقلة. وأظهرت الدراسة أن القناع الأسطوري في شعر البياتي لا يؤدي وظيفة واحدة، وإنما تتحدد وظيفته تبعًا لطبيعة الشخصية المستحضرة والسياق الشعري الذي ترد فيه، الأمر الذي جعل كل قناع يسهم في بناء صورة مختلفة للذات الشاعرة، بدلًا من أن يكون مجرد وسيلة للإحالة إلى المرجعية الأسطورية.

كما بيّن التحليل أن البياتي لم يستحضر الشخصيات الأسطورية بصورتها الموروثة، بل أعاد تشكيلها داخل النص الشعري بما ينسجم مع رؤيته الفنية، ففقدت بعض الشخصيات دلالاتها التقليدية، واكتسبت دلالات جديدة فرضها السياق الشعري، وهو ما جعل القناع جزءًا من البنية الداخلية للقصيدة، لا عنصرًا مضافًا إليها. وكشف التطبيق أن العلاقة بين الذات الشاعرة والقناع تقوم على التماهي أكثر من قيامها على الاستعارة أو الإشارة الرمزية؛ إذ تتحول الشخصية الأسطورية إلى

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

صوت بديل تتحدث الذات من خلاله، فتتداخل حدود الأنا مع حدود القناع، ويتشكل الخطاب الشعري من هذا التفاعل بينهما.

وأظهرت النصوص المدروسة أن البياتي أفاد من اختلاف المرجعيات الأسطورية في بناء صور متعددة للذات الشاعرة؛ فقد أسهمت الأقنعة الرافدينية في إبراز الوعي الحضاري واستدعاء الذاكرة الثقافية بوصفها إطارًا لقراءة الحاضر، في حين كشفت الأقنعة الإغريقية عن أبعاد أخرى للذات، ارتبطت بالبحث، والمواجهة، واستمرار الفعل الإنساني في مواجهة الأزمات، وهو ما منح كل قناع خصوصيته داخل التجربة الشعرية. وانتهى البحث إلى أن قيمة القناع الأسطوري في شعر البياتي لا تكمن في استحضار الأسطورة ذاتها، وإنما في قدرته على إنتاج صوت شعري تتوارى فيه الذات خلف الشخصية الأسطورية، من غير أن تفقد حضورها داخل النص، الأمر الذي جعل القناع آلية فنية لإعادة تشكيل الذات الشاعرة، وليس مجرد وسيلة للتعبير غير المباشر عنها.

المصادر والمراجع

١. أبو زكي، هاتف فؤاد .تجليات القناع الصوفي في الشعر العربي المعاصر، دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٣.

٢. أدونيس .الثابت والمتحول: بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، ج١، دار الساقي، بيروت، ١٩٧٤.

٣. أدونيس .زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥.

٤. إسماعيل، عز الدين .الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، القاهرة، ١٩٩٠.

٥. بدوي، عبد الرحمن .دراسات في الشعر الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩.

٦. تواتي، سلوى طليبة .الظواهر الأسلوبية في أقنعة الشاعر عبد الوهاب البياتي، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية، الجزائر، ٢٠٢٤.

٧. تواتي، سلوى طليبة .تجليات القناع في شعر عبد الوهاب البياتي، مجلة آفاق علمية، الجزائر، ٢٠٢٤.

٨. حاوي، خليل .دراسات في الشعر العربي الحديث، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

٩. حجازي، أحمد عبد المعطي .شعراء معاصرون، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٠.
١٠. حمودة، عبد العزيز .المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨.
١١. الزبيدي، رعد أحمد .القناع في الشعر العربي المعاصر، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٨.
١٢. شلبي، أحمد .الرمز والأسطورة في الشعر العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣.
١٣. الطيب، مبارك سليمان عيسى .القيمة الأدبية للأسطورة في الشعر العربي الحديث: عبد الوهاب البياتي أنموذجًا، رسالة ماجستير، جامعة النيلين، السودان، ٢٠١٧.
١٤. عباس، إحسان .اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق، بيروت، ١٩٩٨.
١٥. عبد الله، محمد .التجربة الشعرية عند عبد الوهاب البياتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢.
١٦. عبد المطلب، محمد .الأسطورة في الشعر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١.
١٧. العبد، محمد حسن .الأسطورة في الشعر العربي الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨.
١٨. علي، عبد الرضا .دراسات في الشعر العربي المعاصر: القناع والتوليف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٥.
١٩. الغانمي، سعيد .أقنعة النص: قراءات نقدية في الأدب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩١.
٢٠. الغذامي، عبد الله .الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٦.
٢١. فضل، صلاح .أساليب الشعرية المعاصرة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥.
٢٢. الموسوي، عبد الله .البعد الأسطوري في شعر عبد الوهاب البياتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠.
٢٣. الناصر، عبد الله .الرمز في الشعر العربي الحديث، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠٠٧.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثامن والأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٨هـ

٢٤. وقاد، مسعود .القناع الصوفي في شعر عبد الوهاب البياتي، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العراق، ٢٠٢٣.

٢٥. يوسف، عبد العزيز .الذات والآخر في الشعر العربي الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٥.

٢٦. البياتي، عبد الوهاب. الأعمال الشعرية الكاملة، ج١–٢. عمّان: دار الفارس للنشر والتوزيع، ١٩٩٥.

٢٧. البياتي، عبد الوهاب .الأعمال الشعرية، ج١–٢، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٩٥.

1. Abbas, Ihsan. Trends in Contemporary Arabic Poetry, Dar al-Shorouk, Beirut, 1998.
2. Abd al-Muttalib, Muhammad. Myth in Modern Poetry, Egyptian General Book Organization, Cairo, 2001.
3. Abdullah, Muhammad. The Poetic Experience of Abd al-Wahhab al-Bayati, Egyptian General Book Organization, Cairo, 2002.
4. Abu Zaki, Hatem Fouad. Manifestations of the Sufi Mask in Contemporary Arabic Poetry, Dar Bissan for Publishing and Distribution, Beirut, 2013.
5. Adonis. The Constant and the Changing: A Study of Creativity and Imitation among the Arabs, Vol. 1, Dar al-Saqi, Beirut, 1974.
6. Adonis. The Time of Poetry, Dar al-Awda, Beirut, 1985.
7. Al-Abd, Muhammad Hassan. Myth in Modern Arabic Poetry, Dar al-Fikr al-Arabi, Cairo, 1998.
8. Al-Ghadhami, Abdullah. Sin and Atonement: From Structuralism to Deconstruction, Arab Cultural Center, Casablanca, 2006.
9. Al-Ghanimi, Saeed. Masks of the Text: Critical Readings in Literature, Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya al-'Amma, Baghdad, 1st ed., 1991.
10. Ali, Abd al-Rida. Studies in Contemporary Arabic Poetry: Mask and Synthesis, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1995.
11. Al-Mousawi, Abdullah. The Mythical Dimension in the Poetry of Abdul Wahab Al-Bayati, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut, 2010.
12. Al-Nasser, Abdullah. Symbolism in Modern Arabic Poetry, Dar Safaa for Publishing and Distribution, Amman, 2007.

13. Al-Tayeb, Mubarak Suleiman Issa. The Literary Value of Myth in Modern Arabic Poetry: Abd al-Wahhab al-Bayati as a Model, Master's Thesis, Nilein University, Sudan, 2017.
14. Al-Zubaidi, Ra'ad Ahmed. The Mask in Contemporary Arabic Poetry, Dar al-Yanabi', Damascus, 2008.
15. Badawi, Abdel Rahman. Studies in Modern Poetry, Dar al-Ilm lil-Malayin, Beirut, 1979.
16. Fadl, Salah. Contemporary Poetic Styles, Dar Al-Shorouk, Cairo, 1995.
17. Hammouda, Abd al-Aziz. Convex Mirrors: From Structuralism to Deconstruction, Alam al-Ma'rifa Series, Kuwait, 1998.
18. Hawi, Khalil. Studies in Modern Arabic Poetry, Dar al-Thaqafa, Beirut, 1980.
19. Hijazi, Ahmed Abd al-Mu'ti. Contemporary Poets, Dar al-Shorouk, Cairo, 1990.
20. Ismail, Ezz El-Din. Contemporary Arabic Poetry: Its Issues and Artistic and Moral Phenomena, Dar al-Awda, Cairo, 1990.
21. Shalabi, Ahmed. Symbol and Myth in Modern Arabic Poetry, University Knowledge House, Alexandria, 2003.
22. Touati, Salwa Taliba. Stylistic Phenomena in the Masks of the Poet Abd al-Wahhab al-Bayati, Al-Qari' Journal for Literary and Critical Studies, Algeria, 2024.
23. Tuwati, Salwa Taliba. Manifestations of the Mask in the Poetry of Abd al-Wahhab al-Bayati, Afaq Ilmiya Journal, Algeria, 2024.
24. Waqad, Masoud. The Sufi Mask in the Poetry of Abdul Wahab Al-Bayati, Journal of Arts, University of Baghdad, Iraq, 2023.
25. Youssef, Abdul Aziz. Self and Other in Modern Arabic Poetry, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 2005.
26. Al-Bayati, Abdul Wahab. The Complete Poetic Works, Vol. 1–2. Amman: Dar Al-Faris for Publishing and Distribution, 1995.
27. Al-Bayati, Abdel Wahab. Collected Poems, Vols. 1–2, Dar al-Fares for Publishing and Distribution, Amman, 1995.